محمود الصغير ينصب الفخاخ للقبرات

إلى أخي محمود في شقاوته

يدحرج القبرات بشغف إلى فخاخه

المموَّهة بلباس التراب وإغراء الأوراق اليابسة،

يتلذذ من وقوعها في مصيدته،

ممتحناً بلادتها وارتجافاتها تحت سطوة لسان فخاخه القاسية

يشمر عن يديه الصغيرتين والملطختين بدم تلك القبرات

والغبار والتين المسروق من كروم الأغنياء.

ينزل كملاك ممتلئ بهالة النور وهالة الجرائم الصغيرة

تحت قبعته المعروقة

وجيوبه مليئة بالديدان وأجنحة الجراد الحمراء.

يجدد ألسنة فخاخه

بعد أن ينتف الريش عن الأجساد المجمدة والمنكمشة لضحاياه

ويتوه مرة أخرى بين الأحراش.

يدوس الوجع بقدميه الحافيتين والمعطرتين برائحة التراب والأقحوان.

رويداً، رويداً تأخذ الشمس أشكالها الاعتيادية في صيفنا القائظ

وتنحني بتمهلٍ نحو الغروب.
يقترب أوان عودة محمود الصغير إلى البيت،
يعود...
وأكياسه المليئة باللحوم الطرية تتدلى بشموخ
على كتفيه المتعبتين
يستقبله أمام الدار:
كلبه، محرّكاً ذيله
نهيق حماره الجهوري،
بصاق جدته المحكم التسديد،
وَعِيْد أمه،
قطته التي تموء بحدة حول كيس الطرائد
ثم صوت الغضب من داخل غرفة الضيوف
أين كنت إلى هذا الوقت يا .. ؟
.....
.....
ترتعد فرائص الصغير من الخوف،
الخوف الذي يخفت بعد هنيهة عندما يلمح همهمات الضيوف
المنقذة إلى حين!

قرية كوسلن الألمانية ، ١٩٩٧